الديوانية

كرم .. عطاء .. تضحية

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابهت أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولاننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضا أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقاتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض، والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقا إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضاربا عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقتهم أبدا نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقة قولا وفعلا، كي لانتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لايستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديموقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وباسلوبه الجميل في الطرح.

الأمانة لا تعني أن نردّد ألفاظاً، ونزوّق الجدران بأكبر عدد من اللافتات، والصور.. الأمين من يقرن نفسه دائماً بالتضحية.. بالبذل والعطاء.. بالصدق مع شعبه؛ لأن الناس لا يحكمون على الأمين، وعلى القوي من خلال مقولاته، وادعاءاته بل يحكمون عليه من خلال مواقفه، وما قدمه في السنوات التي مضت.

.....

أبناء القبائل مدعوون أكثر من أي وقت مضى، لأن ينتبهوا إلى أنهم ليسوا سلعة تباع بحفنة مال، ولا تتحرك في صدورهم سوى الغيرة العربية، ولا يجري في عروقهم سوى دم الشهداء، الذين باعوا أنفسهم لله، والوطن والقيم، ولا يمكن أن يباعوا لأحد مهما كانت سطوته، وماله.

.....

نحن نؤيد من يُسخر المنصب لخدمة الشعب، ولا نؤيد من يسخر الشعب لخدمة المنصب، ومن لا يستطيع ذلك فلينسحب؛ لأن العراق مُنجب الأبطال، والبيوت اليوم مصانع لأصحاب الكفاءات، وليس للعراق إلا طريق واحد، مادام الشعب قد انتصر، وهو الاستمرار بطريق الصعود نحو الأفضل

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة الديوانية بتاريخ 2009/1/27

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ التسليم على أفضل الخلق أجمعين سيد الأنبياء، وأفضل المرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباده الصالحين، ورحمة الله وبركاته... قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)).

كل الحب والتقدير لمجتمع الديوانية الكريم، بعطاءاته المتنوعة.... لمدينة الشهداء.. مدينة البذل والعطاء.. مدينة التنوع التي ما اختنقت بوجه أحد.. مدينة الشعر والثقافة والأدب.

أنطلق من هذه الآية القرآنية الكريمة؛ لأنها أشارت بشكل صريح إلى أن الأمانة خط واحد، وأن الخيانة خطوط متعددة :

{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}.

نور الحق، والصواب، والعدل هو الطريق الوحيد الذي يسلكه الأمناء، المضحّون، والوطنيون، أما طرق الباطل، والسُبل الشيطانية، والدعاوى الفارغة فلا عدَّ لها ولا حصر؛ لأنها لا تريد أن تطبّق حقاً، وتنتصر لمظلوم.. الأمانة التي حملها الأنبياء، والأئمة، والصالحون على طول التاريخ، وضحّوا من أجلها، لم تكن شعاراً يتردد على الشفاه، ولا دعاوى فارغة، او كلمات فاقدة للمعنى.

الأمانة ظلت دائماً مقرونة بأزكى القيم، وأروع المفاهيم، وحملها أولئك الأفذاذ الذين قدّموا دماءهم من أجل الانتصار لها.. كنت قبل قليل في جمعٍ من النسوة من الديوانية، جمعهم عطاؤهم الرائع.. عطاء الدم، كانت إحدى السيدات من بيت (المُلاّ)، قدمت ثمانية شهداء، وأعتقد أن الإنسان يجد نفسه طالباً، ومتعلما في حضرات أمهات، وزوجات، وبنات يتنفسن الشهادة في بيوتهن.

الأمانة لا تعني أن نردّد ألفاظاً، ونزوّق الجدران بأكبر عدد من اللافتات، والصور.. الأمين من يقرن نفسه دائماً بالتضحية.. بالبذل والعطاء.. بالصدق مع شعبه؛ لأن الناس لا يحكمون على الأمين، وعلى القوي من خلال مقولاته، وادعاءاته بل يحكمون عليه من خلال مواقفه، وما قدمه في السنوات التي مضت.

إنما يتغنى المتغنون، ويكتب الشعراء شعرهم لعليّ (عليه السلام)، ليس من منطلق طائفي؛ لأن علياً (عليه السلام) عصارة سيده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأن علياً (عليه السلام)، أبى إلاّ أن يكون للناس كلهم من دون تمييز، لأن قلب علي اتسع للناس جميعاً، ولأن عقل علي اتسع للناس جميعاً.

(علي)، الخليفة يضرب مثلاً لحقوق الإنسان، وهو في أوج السلطة، وعلى قمة الهرم الحكومي يدخل إلى مسجد الكوفة، ويقول له أحد المواطنين: يا علي أنا لا

أثقُ بك، ولا أثقُ بعدلك، ولا أصلي خلفكَ، وليس لك عليَّ سلطان، ماذا كان من علي العادل، والخليفة أن يُجيب؟. ما شهر بوجهه سيفاً، ولم يتعقب حركاته وسكناته، ولم يفرض عله حصاراً، ولم يسلب حقوقه، إنما قال له بما مفهومه: لك كل هذا ولك ما للمسلمين من حقوق عليه شريطة أن لا تعتدي على أحد.

هذا هو العدل، اما ان يكافأ المعتدي، ويستبد الفاسد في فساده، ويتغلغل أكثر فأكثر في أجهزة الأمن، فهذا ما كان، وولى مع النظام المقبور.. أجهزة الأمن اليوم، وليسمعني رجال الأمن كلهم من دون استثناء، انهم إنما جاؤوا على رُكام دماء الشهداء، وعلى المبادئ، والقيم التي أرسى قواعدها الشهيد الصدر، لذا فعليهم أن يضعوا في حسابهم بأن من جاء بهم إلى سدة المسؤولية هو شعبنا، وهم من أبناء هذا الشعب، ونفخر عندما يطبّقون الأمن تطبيقاً صحيحاً، يُعيد للأمن مفهومه، وقيمه بعد أن كان الأمن ترويعاً، و قتلاً، وتشريداً.

على رجال الأمن أن يتذكروا، ويجنبوا أنفسهم كل شبهة، فضلاً عن كل ما يمكن أن يؤذي المواطن.. لابد من أن يحل الأمن في كل مكان.. لابد من أن يخيّم الاستقرار.

نحن اليوم نفخر أن رجالاً من أبنائنا.. من أبناء القوات المسلحة يسهرون على راحة المواطنين، ويقدمون الكثير من الشهداء في سبيل إرساء نظام القانون والدولة، ولكن القانون يجب أن يُطبّق على الجميع، ويجب أن تشهد أجهزة الحكومة جميعها ظواهر الإصلاح، بعد أن دبَّ فيها الفساد.

مدينة الديوانية، وخلال تجوالي في بعض أزقتها، لم يزل الفقر مُطبقاً عليها.. مدينة لها مثل هذه الإمكانات.. مدينة تُقدم هذا العدد الكبير جداً من الشهداء، أهل لأن يُرعى أهلها، ويُشاع فيها جو الحرية.. جو العدالة والمساواة والتكافؤ.. أخاطب كل أبناء العشائر خطاباً عاطفياً.. خطاباً إنسانياً، إسلامياً، حضارياً، وطنياً، سياسياً وأقول لهم: ذهب الوقت الذي يتاجر بكم الآخرون، هذا الوقت هو لمن يتحرك فيه من خلال مبدئه، وقيمه، وشيمه، ويتذكر نداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(إنما بُعثتُ لأتممَ مكارم الأخلاق).

أبناء القبائل مدعوون أكثر من أي وقت مضى، لأن ينتبهوا إلى أنهم ليسوا سلعة تباع بحفنة مال، ولا تتحرك في صدورهم سوى الغيرة العربية، ولا يجري في عروقهم سوى دم الشهداء، الذين باعوا أنفسهم لله، والوطن والقيم، ولا يمكن أن يباعوا لأحد مهما كانت سطوته، وماله، لقد ذهب ذلك الوقت، فأبناء القبائل اليوم

يقفون إلى جانب مؤسسات المجتمع المدني بثقلهم القيمي، وغيرتهم العربية، وحبهم للوطن، يقفون جنباً إلى جنب مع القوى السياسية كافة.

لا نريد مدينة مختزلة بحزب، أو قوة، أو تيار، نعم... نحن نتشرف بكل الوطنيين، ونفديهم بأرواحنا، وكلهم أبناؤنا، لكننا نريد لهذا الموسم الانتخابي أن يشهد تحولاً حقيقياً.. فهناك تباين فاحش في الدعايات الانتخابية، بطريقة عرض الصور، باللافتات، ووجود الفرص لدى هذه القوى، وعدم توافرها لقوة أخرى، ولكني أقول لهؤلاء: إن شعبنا عندما يصوّت، ان لا يصوّت على عدد الصور الملصقة بالجدران، إنما يصوّت لأولئك الذين باعوا أنفسهم من أجل شعبهم، الشعب يصوِّت للذين يمتلكون خططاً، وبرامج؛ لطرد التصحّر، ومعالجة الآفات الزراعية في بلد غني بالزراعة، ويعيش الآن فقراً مُدقعاً.

ادعوا الشعب ان يصوِّت لأولئك الذين يكافحون الفساد الإداري، ويميزون بالتعيين.. يصوّت لأولئك الذين يتعففون في مجال العقود التجارية، واستلاب الأموال وسرقتها.. يصوّت للناس الحريصين... للذين يدأبون على رفع مستوى الخدمات.

شعبنا الذي صنع البديل للدكتاتورية، سيواصل صناعته للعراق الجديد، ويريد خططاً حقيقية، وارتفاعا في مستوى الخدمات.. يريد مدارس لأولاده، وبناته في عصر تتسابق فيه الدول، وتسخّر إمكانات الكومبيوترات للمدارس.. يريد معالجة التركة الثقيلة لأبناء الشهداء، وللسجناء السياسيين، والعاطلين عن العمل، وللمرضى في بلد يزخر بالثروات والخيرات.

شعب له مثل هذه الطموحات، ويواجه مثل هذه التحديات، لابد من أن يتصدر مسيرته الأفذاذ من أبنائكم، وبناتكم، ومأكثرهم، وما أكثرهن، لسنا بأزمة كفاءات.. علينا أن نفتح الطريق أمام هؤلاء كي يأخذوا طريقهم، ويتصدوا للمسؤولية، ويبدؤوا بإعمار النفوس، وإعمار القلوب والعقول، وكذلك إعمار البلد زراعياً، وخدمياً، وعمرانياً، وفي كل مجال من المجالات.

مدينة الديوانية يجب أن تشهد فرقاً أساسياً، وعلى أبنائي، وبناتي في هذه المدينة المباركة، أن يضعوا في حسابهم أن المدينة تتسع لكل الخلفيات من دون استثناء... لكل أبناء المذاهب والقبائل المتنوعة..... لكل القوى السياسية المتنوعة، فقد ضقنا ذرعاً بالعراق السابق، الذي اختنق بهذه القوى السياسية، أو تلك، وحان اليوم الذي ينبغي أن ينفتح العراق على كل السياسيين العراقيين؛ لئلا

تتحول ثقافة التعايش والمحبة، إلى ثقافة التلاعن، ولنتحاور إذا اختلفنا بالطريقة القرآنية الكريمة :

((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

العراق بلد الحضارة.. بلد التلاقح الحضاري.. بلد التثاقف، ولسنا كما جاءتنا موجة من الخارج تدعو إلى صِدام الحضارات.. العراق ليس مهداً لحضارةٍ ما فقط، بل هو مهد الحضارات جميعاً، وما ضاق بأحد، وذهن العراقي يتسع للثقافات المتنوعة، ويجب أن نطرد هذه الثقافة الجديدة، وتلك الممارسات السيئة، التي تحاول أن تشخصن المدينة، وتشخصن البلد، وتحاول أن تجعل من الكيانات الحضارية قوالب تخنق حرية الشعب.

الشعب أكبر من كل قوة من القوى.. الشعب هو الذي يرمز إلى سيادة العراق، فلنحافظ على سيادته، ولنحافظ على مستقبله، وليسهم أبناؤنا وبناتنا من خلال خيرة ما لديهم من إمكانات، وكفاءات في بناء العراق الجديد، العراق الذي يتطلع، وينفتح على كل أبنائه من دون استثناء.

هذه الحالة، وهذه الثقافة التي كادت أن تتسع في وقت ما، لتستبدل التعايش المذهبي، بالتعصب الطائفي المقيت، حاولت أن تستبدل التعايش القومي، بالنزعة الشوفينية العنصرية، التي تزرع الحقد في أوساط ابناء شعبنا، لا لشيء إلا بسبب التحدر القومي المتنوع. أمانة الله في أعناقنا جميعاً.. وعلينا أن نضحّي.. أن نكون وطنيين، ومُضحين للعراق، وأن نرعى العراقيين كلهم من دون استثناء، مهما كانت خلفياتهم الدينية، والمذهبية، والقومية، والسياسية، ومهما كانت انحداراتهم، وعلينا أن نعمل مرة أخرى لرفع هذا الحيف والظلم؛ حتى يختفي الفقر إلى الأبد، في بلد يزخر بمثل هذه الخيرات، ولكنها تنتظر منا برامج، وجداول، وتنافساً شريفاً، وتنتظر أن نكتشف القوي الكفؤ. مهمة الشهيد كانت أصعب المهمات، والشهيد كان الاكثر امانة والأكفأ؛ لأنه أبى إلا أن يؤثر شعبه على حياته، ونفسه، وترك، وخلّف لنا عائلة ثكالى، وأيتاماً، وأرامل، وخلّف لنا كل هؤلاء، فماذا قدمنا لشهدائنا؟. من أبسط أنواع البر، ومن أدنى درجات العرفان بالجميل، لمن أعار جمجمته، وضحى بنفسه من أجل شعبنا هو أن يُقدَّر، ويُقيَّم، ويُعطى حقه الطبيعي؛ حتى يكون قدوة للآخرين، ويتعلم جيل الأحياء، أن الشهيد إذا ما رحل فإن شعبه، ومن خلال حكوماته المتعاقبة سيفي له، ولأولاده، ولأبويه.. هذه الأمانة التي نريدها.

نحن نؤيد من يُسخر المنصب لخدمة الشعب، ولا نؤيد من يسخر الشعب لخدمة المنصب، ومن لا يستطيع ذلك فلينسحب؛ لأن العراق مُنجب الأبطال، والبيوت اليوم مصانع لأصحاب الكفاءات، وليس للعراق إلا طريق واحد، مادام الشعب قد انتصر، وهو الاستمرار بطريق الصعود نحو الأفضل؛ ليحقق تنمية حقيقية في مجالات الاقتصاد، والخدمات، والإعمار، والبناء، والتعليم، و كل شيء؛ حتى تختفي كل هذه الظواهر البائسة من مدننا.

أحييكم تحية ملؤها الحب، ومفعمة بالدعاء إلى الله (تبارك وتعالى)، بأن يوفقكم، ويرعاكم..

لقد اهداكم تيار الإصلاح هدية، ووفاءً، وبراً بكم باختياراته في هذه المدينة، خيرة من يعتقد بهم، متمنياً لهم الموفقية في خدمتكم، والتفاني من أجلكم، وفي الوقت نفسه أعلن لكم: أن تيار الإصلاح يقف مع كل كفؤ، وكل مُضحٍّ، وكل أمين، وكل من يعمل لشعبه من أية قائمة كان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...